جمهورية مصر العربية	**٢٠شعبان ١٤٤٠ هـ**
وزارة الأوقاف	**٢٦ إبريل ٢٠١٩م**

(١)

عوامل بناء الدول

الحمد لله رب العالمين ، القائل في كتابه الكريم : {وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} ، وأَشهدُ أنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ ، وأَشهدُ أنَّ سيدَنا ونبيَّنا مُحَمّدًا عَبدُه وَرَسُولُهُ ، القَائِل في حديثه الشريف: (إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَبِيَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ ، فَإِنْ اسْتَطَاعَ أَنْ لَا يَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَهَا فَلْيَفْعَلْ) ، اللَّهُمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ عليهِ وعلَى آلِهِ وصحبِهِ ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إِلَى يومِ الدِّينِ .

وبـعــــــد :

فإن من مبادئ الإسلام الأصيلة ، وتعاليمه الجليلة حب الوطن ، والدفاع عنه ، والعمل على تقدمه وازدهاره ، والشرَفُ كل الشرفِ في شعور الإنسان بانتمائه الحقيقي لوطنه ، والسعي الجاد لبنائه ، والعمل على رقيِّه ورفعته ، فكل الأمم التي تقدمت علميًّا وحضاريًّا يقف وراءها رجال مخلصون امتلأت قلوبهم بحب أوطانهم ، فشمروا عن ساعد الجد بالعمل المثمر العائد بالنفع على العباد والبلاد ، ومصرنا الغالية تستحق من أبنائها ذلك وأكثر ، فهي القلب النابض للعروبة والإسلام ، وهي درع الأمة وسيفها ، وحصنها الحصين في مواجهة الإرهاب والتحديات ، ومن ثمَّ فإن الدفاعَ عنها ، والعملَ في سبيل نهضتها ورقيها ، إنما هو واجب ديني ووطني ، فهي مهد الحضارات ، وموطن الرسالات ، وهي البلد التي اقترن ذكرها في القرآن الكريم بالأمن والأمان ، حيث يقول الحق سبحانه على لسان سيدنا يوسف عليه السلام: {ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ} .

ولله در صلاح الدينِ الصفدي حين قال:

من شاهد الأرض وأقطارها والنـاس أنواعًـا وأجناسـا
ولا رأى مصـر ولا أهلهـا فمـا رأى الدنيـا ولا الناسا

ولا شك في أن التقدم والبناء والتفوق يضمن للأمة العزة والكرامة واحترام الناس، غير أن بناء الدول لا يكون بمجرد الكلام ولا الأحلام ولا الأماني ، بل لابد من جهد وعرق وبذل وتضحية وأخذٍ بمقومات البناء وأسباب التقدم والحضارة ، ومن أهم هذه الأسباب: الوعي بالتحديات : فإنَّ الوعيَ بقيمةِ الوطن ، وبالتحديات التي يُواجهها ، وبالمخاطر التي تحيطُ به ، أمرٌ يتطلب الإلمام بحجم التحديات التي تواجهنا لأننا دون إدراك هذه التحديات ودون الوعي بها لا يمكن أن نضع حلولاً ناجحة أو ناجعة لها.

ومما لا شك فيه أن قضية الوعي بقيمة الوطن ، وبمشروعية الدولة الوطنية ، وضرورة دعم صمودها ، والعمل على رقيها وتقدمها ، أحد أهم المرتكزات لبناء الدولة القوية، وأحد أهم دعائم الولاءِ والانتماءِ للوطن والحفاظ على مقدراته وكل ذرة من ثراه النّدِي .

كما أن الوعي بأهمية الوطن يقتضي أن نصحح المفاهيم الخاطئة التي حاولت الجماعات الإرهابية والمتطرفة ترسيخها في الأذهان ، حيث عملت وبنت فلسفتها على محاولات إحداث القطيعة وفقدان الثقة بين سائر الشعوب وحكامها والمسئولين فيها ، مع أن تعاليم الأديان تدعونا إلى إكرام الحاكم العادل ، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (إِنَّ مِنْ إِجْلَالِ اللَّهِ إِكْرَامَ ذِي الشَّيْبَةِ الْمُسْلِمِ، وَحَامِلِ الْقُرْآنِ غَيْرِ الْغَالِي فِيهِ، وَلَا الْجَافِي عَنْهُ، وَإِكْرَامَ ذِي السُّلْطَانِ الْمُقْسِطِ) ، وجعل الحق سبحانه الحاكم العادل يوم القيامة في السبعة الذين يظلهم سبحانه في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله ، حيث يقول (صلى الله عليه وسلم) : (سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلاَّ ظِلُّهُ ، ....) ثم ذكر في مقدمتهم : الإمام العادل .

ومن أهم أسس وعوامل بناء الوطن : التضحية في سبيله فالوطنية الحقيقية ليست مجرد شعارات ترفع ، أو عبارات تردد ، الوطنية نظام حياة وإحساس

بنبض الوطن وبالتحديات التي تواجهه ، والتألم لآلامه ، والفرح بتحقق آماله ، والاستعداد الدائم للتضحية من أجله .

والدفاع عن الوطن وحمايته والتضحية من أجله مطلب شرعيٌ ، وواجبٌ وطنيٌ على كل من يعيش على أرضه ، ويستظل بسمائه ؛ فحب الوطن لا يتوقف عند مجرد المشاعر والعواطف فحسب ، بل يجب أن يترجم إلى عمل وسلوك صالح نافع للفرد والمجتمع ، ومن ثمَّ فلابد من التضحية لأجل بقائه قويًّا عزيزًا ، فالانتماء للوطن يوجب على أبنائه أن يعتزوا به ، وأن يتكاتفوا جميعًا للحفاظ عليه ، لأن استقرار الأوطان ضرورة لتحقيق غاية الله من الخلق في إعمار الكون ، ورفعة الدين ، وإقامة شعائره ، وما شرع الجهاد في الإسلام إلا دفاعًا عن الأوطان وردًّا للظلم والعدوان ؛ لذا فقد أعلى الله (عز وجل) شأن من يبذلون أرواحهم في سبيل الله دفاعًا عن أوطانهم ، فقال تعالى : {إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ}.

ومن أهم عوامل وأسس بناء الدول والحضارات : العمل الجاد والإتقان: ولقد أعلى الإسلام من قيمة العمل وجعله بابا من أبواب العبادة ، بل جعله من أعلى مراتب العبادة ؛ حيث وصفه النبي (صلى الله عليه وسلم) بأنه جهاد في سبيل الله ، فعن كعب بن عجرة (رضي الله عنه) ، أن رجلًا مرّ على النبي (صلى الله عليه وسلم) ، فرأى الصحابة (رضي الله عنهم) من جلده ونشاطه ما أعجبهم ، فقالوا : يا رسول الله، لو كان هذا في سبيل الله ؟! فقال (صلى الله عليه وسلم) : (إِنْ كَانَ خَرَجَ يَسْعَى عَلَى وَلَدِهِ صِغَارًا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَإِنْ خَرَجَ يَسْعَى عَلَى أَبَوَيْنِ شَيْخَيْنِ كَبِيرَيْنِ فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَإِنْ كَانَ يَسْعَى عَلَى نَفْسِهِ يَعِفُّهَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَإِنْ كَانَ خَرَجَ رِيَاءً وتَفَاخُرًا فَهُوَ فِي سَبِيلِ الشَّيْطَانِ) .

فالدين والوطنية معًا يتطلبان منا الجهد والعرق والعمل والإنتاج ، ولا سيما أن ديننا هو دين العمل والإتقان ، يقول الله عز وجل : {الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ } ، ويقول سبحانه : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ} ، ويقول (صلى الله عليه وسلم) : (مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ ، وَإِنَّ نَبِيَّ اللهِ دَاوُدَ (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ) .

على أننا نؤكد أن ديننا الإسلامي لم يطلب منا مجرد العمل إنما طلب منا العمل الجاد المتقن ، حيث يقول الحق سبحانه : {إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا}، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه).

ومن عوامل بناء الدول والحضارات : العلم ، والإدارة الجيدة : فالبناء يحتاج إلى علم وخبرة ودربة وتخصص ، وليس مجرد هواية ، وعندما ننظر في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة نجد أنهما يؤكدان على ضرورة توفر الكفاءة والكفاية والأمانة، قال تعالى على لسان سيدنا يوسف (عليه السلام) : {اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ} ، وقال جل شأنه على لسان ابنة شعيب في شأن سيدنا موسى (عليه السلام) : {يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ}.

ولقد حذر النبي (صلى الله عليه وسلم) من تولية غير الأكفاء ، وأخبر أن ذلك علامة من علامات الساعة فقال (صلى الله عليه) : (إِذَا وُسِّدَ الأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ) ، وأهل الأمر في كل مجال : هم أهل الكفاءة والأمانة معًا .

ولقد كان النبي (صلى الله عليه وسلم) يوظف أصحابه وعماله حسب العلم والكفاءة والقدرة على القيام بالمسئولية ، ولا يولي أحدًا مجاملة ، أو بسبب قرابة ، أو محبة، فعن أبي ذر (رضي الله عنه) ، قال : قلت : يا رسول الله ، ألا تستعملني؟ قال : فضرب بيده على منكبي ، ثم قال : (يَا أَبَا ذَرٍّ ، إِنَّكَ ضَعِيفٌ ، وَإِنَّهَا أَمَانَةُ ، وَإِنَّهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ خِزْيٌ وَنَدَامَةٌ ، إِلَّا مَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا ، وَأَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ فِيهَا) ، وقَالَ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) لعَبْدِ الرَّحْمَنِ بن سَمُرَةَ: (يا عبد الرحمن: لاَ تَسْأَلِ الإِمَارَةَ، فَإِنَّكَ إِنْ أُوتِيتَهَا عَنْ مَسْأَلَةٍ وُكِلْتَ إِلَيْهَا، وَإِنْ أُوتِيتَهَا مِنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ أُعِنْتَ عَلَيْهَا) .

أقولُ قولِي هذا ، وأستغفرُ اللهَ لِي ولكُمْ .

* * *

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ ، وأشهدُ أن لا إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لاَ شريكَ لَهُ ، وأشهدُ أنَّ سيدَنَا وَنَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عبدُه ورسُولُه ، اللهُمَّ صَلِّ وسلمْ وَبارك عليهِ ، وَعلى آلهِ وصحبهِ أجمعينَ ، وَمن تَبعَهُمْ بإحسانٍ إِلىَ يومِ الدِّين .

إخوةَ الإسلامِ :

إن من اهم عوامل وركائز بناء الدول **إعلاء القيم الأخلاقية والسلوكية** ، فالأمم والحضارات التي لا تبنى على القيم والأخلاق تحمل عوامل سقوطها في أصل بنائها وعوامل قيامها ، ولله در القائل :

وَإِذَا أُصِيبَ القومُ فِي أَخْلاَقِهِمْ   فَأَقِمْ عليهِمْ مَأتَمًا وَعَوِيلًا

وقول الآخر:

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت   فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

إنَّ للأخلاق في الإسلام منزلة عالية ، فبها يرتقِي المسلمُ في درجاتِ الإيمانِ ، وتثقل موازينه يوم العرض على الواحد الديان ، حيث يقول نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (مَا مِنْ شَيْءٍ أَثْقَلُ في مِيزَانِ العبدِ المُؤْمِنِ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنْ حُسْنِ الخُلُق ،

وَإِنَّ الله يُبْغِضُ الفَاحِشَ البَذِيَّ) ، ولما سُئل (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) عَنْ أكثرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ الْجَنَّةَ؟ قَالَ : (تَقْوَى اللهِ ، وَحُسنُ الخُلُقِ) .

وجعل (صلى الله عليه وسلم) حسن الخلق معيار كمال الإيمان أو نقصانه ، فقال (صلى الله عليه وسلم) : (أَكْمَلُ المُؤمنينَ إيمَانًا أحسَنُهُمْ خُلُقًا ...) ، ويقول (صلى الله عليه وسلم) : (اتَّقِ اللَّهِ حَيْثُمَا كُنْتَ ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الحَسَنَةَ تَمْحُهَا ، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ).

فحسن الخلق يحمل صاحبه على الخِلال الحميدة كالرَّحمة ، وحبِّ الخير للغير ، والسَّعي لنفع النَّاس ، وتحقيق النفع العام للبلاد والعباد بعيدًا عن الأنانية وحب الذات ، فديننا الحنيف قائم على الإيثار وحب العطاء، لا على الأثرة والشح والأنانية.

ومن أسس بناء الدول والحضارات: العدل ، فالدول تبنى بالعدل الذي يسوي بين الناس جميعًا في الحقوق والواجبات ، دون تمييز لأحدٍ على أحدٍ ، وهو أمر الله (عز وجل) في كتابه الكريم ، حيث يقول سبحانه : {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ}، وقد قالوا : إن الله (عز وجل) ينصر الدولة العادلة ، ولو كانت كافرة ، ولا ينصر الدولة الظالمة ، ولو كانت مسلمة ؛ لأنها لو كانت مسلمة حقًا لما رضيت بالظلم ، أو قامت عليه ، ولذا قالوا أيضًا : إن الدول قد تدوم مع الكفر والعدل ، ولا تدوم مع الإسلام والظلم ؛ لأن تدينها حينئذ سيكون تدينًا شكليًّا ، لا يعي مفهوم الإسلام ، ولا مضامينه السامية القائمة على الحق والعدل ، ورفض الظلم والبغي ، بكل ألوانهما وأشكالهما .

فاللهم أمّنا في أوطاننا ، ووفق أئمتنا وولاة أمورنا ،
واحفظ بلادنا من كيد الكائدين وفساد المفسدين.

(٧)